

الصحراء الجزائرية من خلال La revue Africaine - المقاومات الشعبية في الجنوب

الشرقي أنموذجا-

جيجيك زروق

عضو بمخبر الفكر الإسلامي في الجزائر

جامعة جيلالي ليابس

أستاذ تاريخ

جامعة بجاية

ملخص:

ساهمت الكتابات الفرنسية في التعريف بتاريخ الجزائر عبر مراحلها المختلفة، و نجد من الأبحاث و الدراسات في المدونة الفرنسية التي نُشرت خلال الفترة الاستعمارية المجلة الإفريقية، هذه الأخيرة التي اهتمت بكل ما يهم الجزائر من جوانبه المتعددة منها التاريخي و الأثري و الأنثروبولوجي الفلكلوري... الخ و كذا بمختلف مناطق الجزائر نستعرض منها الجنوب الجزائري الذي اشتملت عليه دراسات المجلة من جانيبه الأثري و التاريخي اللذان يبينان العمق التاريخي عبر العصور للمنطقة و كذا تطرقهم لمختلف المقاومات و الثورات الشعبية ضد المحتل الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: المجلة الإفريقية، الصحراء الجزائرية، الجنوب الجزائري، المدونة الفرنسية.

مقدمة :

كثيرا ما اعتنت الكتابات الفرنسية بتاريخ الجزائر عامة بمختلف مجالاته و عبر مختلف مراحلها التاريخية، فنجد اهتمامها بالصحراء الجزائرية كثيرا سواء من الجانب الأثري لغنى المنطقة بالشواهد الأثرية الدالة على العمق التاريخي للمنطقة و لإنسان المنطقة، و كذا بالجانب التاريخي بتدويته لمختلف المقاومات الشعبية التي قادها مشايخ الطرق الصوفية و مرابطي المنطقة و اعتنائها بالرحلات التجارية التي تعد طرقا للقوافل التجارية التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية والعلمية.

ف نجد المجلة الافريقية أولت مجالا كبيرا للصحراء عبر فترتين مختلفتين من الكتابات على يد الضباط العسكريين و على يد المختصين، فما هي دواعي وأسباب اهتمامهم بالصحراء الجزائرية؟ ما مدى مساهمة المجلة الافريقية في إبراز تاريخ الصحراء الجزائرية من خلال المقالات التي أوردها الكتاب الفرنسيون؟ فيم تمثلت مقاومات الجنوب الشرقي؟

فمن خلال أبحاثنا في الكتابات الفرنسية وجدنا العديد من المؤلفات التي تناولت الجنوب الجزائري أو بالأحرى الصحراء الجزائرية⁽¹⁾ معظمها نشرت في بدايات الاحتلال الفرنسي فهي عبارة عن

دراسات وصفية للمنطقة تمهيدا لاحتلالها ،أما المجلة الافريقية فقد صادفنا في ثنايا أعدادها العديد من المقالات التي احتوت مواضيع عن الصحراء ، سنحاول في هذه الدراسة المتواضعة التعريف بهذه المجلة و بأهدافها المنشودة في دراسة تاريخ الصحراء، مع جرد المقالات التي اهتمت بموضوع بحثنا مع اعطاء القيمة العلمية لهذا النص التاريخي ، و التعرّيج بصفة معمقة عن المقالات التي تناولت المقاومات الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري.

تعد المجلة الافريقية عصارة الكتابات الفرنسية كون جلّ الكتاب و المؤرخين نشروا مقالاتهم المتعلقة بتاريخ الجزائر العام في أعدادها سواء عبارة عن دراسات متفرقة متواجدة في مقالات العمق و التي يطلق عليها بالقسم الاساسي (Partie Officielle) أو تكون عبارة عن ملخص لتلك الدراسة و تنشر في الجزء الخاص بالكشاف الببليوغرافي (Bulletin bibliographique) .

بهذا تكون المجلة قد ألت بمختلف المنشورات و المطبوعات الفرنسية و كذا لدعم وزارة الحرب للمنشورات العسكرية السالفة الذكر ، و دعم أيضا المجلة ما جعل هناك توافق بين المؤلفين العسكريين ووزارة الحرب.

جلّ الكتاب الفرنسيين ساهموا بمقالاتهم في هاته المجلة و التي اعتبرها رئيسها الشريف 'كونت راندون' بمثابة الموسوعة التاريخية للجزائر ، بل هي مكتبة الجزائر لاشتمالها على العديد من التخصصات والفروع.

1 - نشأتها :

تأسست المجلة الافريقية بعد انعقاد الجمعية التاريخية الجزائرية في مارس 1856م و التي أعلن فيها عن تأسيس مجلة تاريخية تهتم بجمع و تدوين كل ما يعني بتاريخ الجزائر⁽²⁾ رغبة في إثراء البحث و التعرف على هذه المنطقة و عن الحضارات الأوروبية التي مرت على الجزائر، بل و جعلها جزء لا يتجزأ منها و أن فرنسا هي الوريثة الشرعية لهذه الأرض فقامت بالتغاضي عن التاريخ الإسلامي و الفترة الوسيطة على العموم فجعلتها فترة غامضة و مبهمه (العصور الوسطى، العصر المظلم للجزائر) ،مقارنة بالفترة القديمة (الرومانية ،البيزنطية ،الوندال) .

فعملت على جمع العديد من البقايا الأثرية الرومانية ووضعتها في متاحف خاصة ،بل قامت بتكوين فرق من المختصين مهمتهم التنقيب عن الآثار القديمة⁽³⁾ و أن الممالك البربرية عبارة عن كيانات سياسية تابعة لروما .

تنوعت مواضيع المجلة بتنوع أغراضها العسكرية و الاستيطانية فاهتمت بالآثار و التاريخ الجغرافيا ، اللغات و اللهجات ، الدين و المعتقدات ، الفنون ، الإثنوغرافية ، الفلكلور ، العادات و التقاليد ، السير و التراجم ، الأدب ، علم الاجتماع ، الرحلات و التقارير ، الاساطير ، الفنون الجميلة⁽⁴⁾ ...

فأولى "بيربروجر" اهتماما كبيرا لهاته المجلة فعرفت مشاركة العديد من الضباط و المستشرقين الفرنسيين ففي المرحلة الأولى عرفت الجزائر ظهور كتابات عسكرية تهتم باثنوغرافية المجتمع و معرفة أصوله متمثلة في العادات و التقاليد و الاعراف و الديانة و الرحلات الاستكشافية لمختلف المدن الجزائرية ، فرغبت في معرفة المجتمع الجزائري باعتبارهم جنس مختلف عن الأجناس الأوروبية المعروفة فنجد منهم ريني باصيه (Basset) دوسلان (De Slane) جورج مارسيه (G.Mercier) بيربروجر (Berbrugger) شارل فيرو (Ch. Féraud)

أما عن صدورها و أعدادها فبدأت في عام 1856م بظهور العدد الأول فاستمرت إلى غاية 1962 توقفت فترة الحرب العالمية الأولى 1914 - 1919 ، أما باقي ذلك فعرفت بانتظامها ووصل عدد أعدادها إلى 106 مجلد ، نتيجة الدعم المادي و المعنوي المقدم من طرف الحكومة الفرنسية و كذا الجامعة الجزائرية⁽⁵⁾ .

2 - أهداف الكتابات الفرنسية من دراستها للصحراء الجزائرية :

تعددت أهداف الكتابات الفرنسية من علمية و عسكرية و ثقافية إلا أنها تصب في مجال خدمة الاستعمار فنجد منها :

✓ اعتبار الآثار و النقوش الأثرية التي وجدت في الصحراء الجزائرية إرثا حضاريا عالميا و جب استكشافه و العمل على صيانتها و المحافظة عليه بعدما أن رأي أن الجزائريين لا يهتمون بالآثار العالمية التي تؤرخ لوجود الانسان ، و العمل على جمعها في متاحف خاصة بعد تدوينها و درستها و التعريف بها⁽⁶⁾ .

✓ الرغبة في استكشاف المنطقة لقلة المصادر الأجنبية التي تناولت الموضوع عكس المناطق الأخرى التي كتب عنها جواسيس و أسرى أوروبيين أثناء العهد العثماني ، على الرغم من الحملات الأوروبية لأدغال إفريقيا أما الصحراء الجزائرية بالتحديد فقلما تتطرق إليها .

✓ أولى الفرنسيون اهتماما كبيرا بالصحراء الجزائرية خاصة بعد أحداث انتفاضة الزعاطشة و حركة الشريف محمد بن عبد الله بالأغواط و الجنوب الشرقي ، فكثر الحملات الاستكشافية لمعرفة سكان هاته المنطقة و التغلغل في مجتمعهم لإيجاد الحل المناسب للسيطرة ، فمعرفة ذهنية مجتمع ما يُسهل احتلاله .

✓ بعد السيطرة على المناطق الساحلية والداخلية ، جاء الدور للتوسع نحو الجنوب فأقامت في بداية الأمر حاميات عسكرية لاستطلاع المنطقة، و استخدام المعلومات التي يقدمها المستكشفون (حملات استطلاعية) ، فانتهجت فرنسا في احتلال الجزائر فكرة نابليون بمصر فأقامت مترجمون و كُتاب و مؤرخين عسكريين مهمهم استقصاء الوضع و ارسالها على شكل تقارير عسكرية لتسهيل مأمورية التوسع و الاحتلال باعتبارهم واسطة بين الجيش الفرنسي والسكان المحليين⁽⁷⁾ (الأهالي).

✓ دراسة خصوصيات المنطقة من مناخ و تربة و أماكن تواجد الواحات و مسالك الطرق التجارية الممتدة من السودان الشرقي إلى السودان الغربي مروراً بالصحراء الجزائرية ، ما مكنت فيم بعد من تحويل هاته الدراسات إلى مشاريع استعمارية⁽⁸⁾ منها ربط الجنوب الجزائري بالسكة الحديدية و ربطها بالكهرباء و الهاتف لتسهيل تنقل الجيوش و السلع و المؤن ومراقبة مسالك القوافل التجارية ، أما عن اهتمامهم بمناخ المنطقة و تضاريسها ما جعلها تمهد لا نشاء بحر داخلي يعمل على تعديل المناخ و جعلها منطقة فلاحية و ربطها بالجريد التونسي .

✓ دراسة المجتمعات الدينية المنشرة و خاصة الطرق الصوفية و مرابطي المنطقة بسبب الثورات التي يشيرونها ضدهم و العمل على استمالتها لخدمة مصالحهم ، ما نتج العديد من المقاومات بدءاً من 1837 بعد توجه أحمد باي لمنطقة الزيبان و منطقة الجنوب الشرقي.

✓ تحول منطقة الجنوب الشرقي معقلاً للثوار و المجاهدين الفارين الذين فشلوا في مقاومة فرنسا و انتقالتهم للجنوب لاستمالة السكان ، خاصة بعد فشل مقاومة أحمد باي و التجائه إلى الصحراء الجزائرية و نفس الشيء نجده في مقاومة المقراني و الشيخ الحداد فبعد فشلها و زج زعمائها ففرّ العديد منهم إلى الجنوب الشرقي لتحريض السكان على مواصلة المقاومة ، من جهة أخرى الرغبة في الانتقال إلى تونس عبر الحدود الشرقية الجنوبية فهذا ما نجده في شخصية ناصر بن شهرة فسهل مأمورية العديد بالتنقل إلى تونس .

و قد اعتمد في تأليفها على الذاتية الجارحة والتزييف و التضليل الاستعماري ، فهي ذات توجه استعماري استيطاني من خلال إشراك و تدعيم الجهات العسكرية و النظامية. بل المساهمة في تأسيسها هذا و إضفاء الأيديولوجية الاستعمارية.

فلم تقتصر الكتابات على المؤرخين العسكريين فقط فساهم فيها المؤرخون المختصون الذين ساهموا بدراسات يمكن اعتبار بعضهم موضوعيين في كتاباتهم لكونهم أساتذة و خريجي الجامعات إلا أنهم حافظوا على الفكر الاستعماري الاستشراقي الذي يخدم مصالحهم الخاصة، فقد أفقدتهم روح البحث العلمي الموضوعي.

3 - اهتمام المجلة الإفريقية بالصحراء الجزائرية:

اهتمت المجلة الإفريقية بالجنوب الجزائري عموماً في مقالات بعناوين "الصحراء" و التي كانت دراسات شاملة و عامة عن المنطقة ،و أفردت في ثناياها مقالات خاصة بمناطق ذات أهمية منها توقرت ،الأغواط ، عين ماضي ،ورقلة ،أدرار ،بسكرة . فمن خلال هذا الجدول⁽⁹⁾ نوضح المقالات التي تصب في الموضوع:

Auteurs	Article	v	Page	Année
Berbrugger(A)	Les Romain dans le sud de l'Algérie – haute plateaux et Sahara du centre-	02	276-294	1857
Berbrugger(A)	Observation archéologiques sur les oasis de méridionales du Sahara algérienne	02	295-300	1857
Berbrugger(A)	Domination romaine dans le sud de l'Afrique septentrionale	03	379-390	1858
Coyne (A)	Le Sahara du l'ouest étude géographique sur l'Adrar et une partie du Sahara occidental	33	1-96	1889
Coyne (A)	Le Sahara du l'ouest étude géographique sur l'Adrar et une partie du Sahara occidental	34	43-54	1890
Alfred Martin(G)	L'action française dans le Sahara	37	330-351	1893
Laquiere (E)	Nouvelles recherches sur le préhistorique dans le Sahara	50	204-233	1906
Voinot (L)	Quelque dessin et inscription rupestres du Sahara centre	70	347-357	1929
Lhote (H)	L'expédition de Cornelius Balbus au Sahara en 19 av.-C d'après le texte de Plin	98	41-81	1954

فالملاحظ من خلال القراءة الأولية لعناوين المقالات نجد أن جلها يتناول الصحراء من الجانب الأثري و خاصة منطقة الطاسيلي و الهقار ، فقدمت لنا دراسة شاملة عن تاريخ الصحراء منذ فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة المدروسة، و تطرقها للهجرات البشرية من أدغال إفريقيا إلى أوروبا مروراً بالصحراء. أما تطرقها للجوانب العسكرية ، السياسية ، الدينية و الثقافية ، الاقتصادية و الاجتماعية فكانت في المقالات المخصصة للمدن المذكورة باعتبار أن الكتاب زاروا المنطقة في إطار الحملات الفرنسية فدونوا ما وجدوا من معلومات شفوية و جلبهم للمخطوطات المحلية من الزوايا⁽¹⁰⁾ و مساجد بعد إخضاع المنطقة تحت سيطرتهم فمن أهم المدن الجنوبية الشرقية التي تطرقوا إليها نجد منطقتي الأغواط و عين ماضي ، ورقلة ، بسكرة ، الجلفة ، وادي ميزاب ، تقرت ، الهقار ، أدرار ، تؤرخ لها الكتابات الفرنسية بالجنوب القسنطيني Le sud constantinois .

– منطقة الأغواط و عين ماضي :

Gorguos	Expédition de Mohammed el kebir, bey de Les contrées du sud terminé par mascara, dans le siège de l'Laghouat et la soumission d'Ain Madhi	03	185-192	1858
Gorguos	Expédition de Mohammed el kebir, bey de mascara, dans Les contrées du sud terminé par le siège de l'Laghouat et la soumission d'Ain Madhi	04	347-357	1859-1860
Mangin (e.)	Notes sur l'histoire de Laghouat	37	355-396	1893
Mangin (e.)	Notes sur l'histoire de Laghouat	38	79-108 273-324	1894
Mangin (e.)	Notes sur l'histoire de Laghouat	39	5-54 109-163	1895
Sidoun(m)	Chants sur la chasse au faucon attribués à Sid El Hadj Aïssa Chérif de Laghouat	52	272-294	1908
Arnaud	siège d'Ain Madi par abd-el-Kader ben mohi ed-din.	08	354-371 435-453	1864

منطقة ورقلة :

Féraud (l. CH)	Pointes de flèches en silex, de Ouargla (avec planche).	16	136-145	1873
Gognalons(L)	Fêtes principales des sédentaires d'Ouargla (Rouagha).	53	86-100	1909
	Notes pour servir à l'histoire d'Ouargla	64	381-442	1923

منطقة بسكرة :

Féraud (l. CH)	Entre Sétif et Biskara.	4	187-200	1860
SIMON(H)	Notes sur le Mausolée de Sidi Okba	53	26-	1909

منطقة الجلفة بمقالين :

Berbrugger(A)	Note archéologique sur les ruines de Djelfa	1	25-40	1865
Hartmayer	Notice sur le cercle de Djelfa.	29	141-150	1885

منطقة وادي ميزاب بمقالين:

COYNE (A.)	Le Mzab.	23	172-210	1879
MOTYLINSKI	Notes historiques sur le Mzab	28	373-391	1884

منطقة توقرت نشرت في مقال⁽¹¹⁾ عبر حلقات متسلسلة من العدد 23 إلى 31:

Féraud (ch.-l.)	Ben- Djellab, sultans de Touggourt Notes historiques sur la province de Constantine	23-31	1889-1897	
-----------------	---	-------	-----------	--

منطقة الهقار :

LAPERRINE	Les noms des années chez les Touareg du Ahaggar, de 1875 à 1907	53	193-198	1909
LAPERRINE	Noms donnés par les Touareg Ahaggar aux diverses années 1860-1874	54	191-194	1910
BASSET(H)	Les Proverbes de l'Ahaggar	63	489-502	1922

منطقة أدرار يتواجد مقالين منطوية ضمن المقالات التي أدرج تحت عنوان الصحراء ينظر الجدول الخاص بالصحراء ، للمؤلف COYNE.

أوردت المجلة الإفريقية مقالا حول الجنوب الشرقي الجزائري و اهتم كثيرا بالصحراء الشرقية من خلال سرده لتاريخ المنطقة عامة و للمناطق المتواجدة بها ، و اهتم كثيرا بأحداث ووقائع الحملة الفرنسية و ردود الفعل ، فتناول انتفاضة الزعاطشة و المناطق المجاورة لها ، يقع هذا المقال تحت عنوان " الجنوب القسنطيني 1830 - 1855⁽¹²⁾ .

4 - المقاومات الشعبية بالجنوب الشرقي من خلال المجلة :

اهتمت المجلة الإفريقية بالعديد من المقاومات التي كانت سدا منيعا في سياسة التوسع و الاستيطان ، فهذا ما تذكره التقارير العسكرية الصادرة من ضباط المكاتب العربية والمترجمين العسكريين و حتى المستكشفين و الرحالة فقاموا بنشرها في المجلة ، فكانت كتاباتهم على كامل القطر الجزائري ، فنجد منها ، مقاومة " أحمد باي " و " الأمير عبد القادر " ، مقاومات الشرق الجزائري و بالخصوص " الشيخ الحداد " و " المقراني " ، و مقاومة " أولاد سيدي الشيخ بالببيض " ، انتفاضة الزعاطشة ... فالكثير منها دُون و أرخ عنها فارتأينا من هذه الدراسة تسليط الضوء على إحدى أهم مقاومات الجنوب الشرقي و بالتحديد بالأغواط ورقلة .

فكتاب المجلة لم يقدموا دراسة خاصة عن هاته المقاومات و إنما أدرجت ضمن مقال حول الجنوب القسنطيني و الذي تطرق إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله تحت عنوان : Notes historiques

sur la province de Constantine. Les Ben- Djellab, sultans de Touggourt ، كون هذه الشخصية انتقلت إلى منطقة ورقلة و حاربت الاستعمار الفرنسي و أيدت المقاومات الشعبية التي اندلعت في الجنوب الشرقي منها مقاومة ابن ناصر بن شهرة و التي دُوت في المجلة تحت عنوان ملاحظات حول تاريخ الاغواط .Notes sur l'histoire de Laghouat.

5 - مقاومة الشريف محمد بن عبد الله:

تعود أصوله التاريخية حسب الروايات إلى أولاد سيدي أحمد بمنطقة عين تيموشنت بعمالة وهران ، انتقل إلى تلمسان للتدريس بإحدى زواياها باعتباره من أحد أتباع الطرق الصوفية ، كان حليف الفرنسيين في بداية الأمر إلا أن الحملة التي قادها "بيجو" على تلمسان جعلت منه يغير موقفه نتيجة المجازر التي قام بها بيجو و على الرغم من ذلك قلده رتبة "خليفة " ، كما يذكر "فيرو" من خلال مدونة " تروملت " الفرنسيين في الصحراء⁽¹³⁾ .

على الرغم من مساندته للفرنسيين في بداية الأمر إلا أن "بيجو" كان يشك في ولائه منذ البداية ، فهذا ما جعل محمد الشريف يتفرغ للعبادة و الصلاة ، فكان يقوم الليل بأكمله في منطقة العباد أين يتواجد ضريح أبي مدين شعيب إلا أنها كانت حيلة لتفادي شكوك الفرنسيين و التقرب من الجزائريين و خاصة أتباع الأمير عبد القادر المعارضين للتوسع الفرنسي ، و في سنة 1864 قام بتأدية الحج فانتقل إلى مكة، هناك تعرف و التقى بمحمد السنوسي (صاحب الطريقة السنوسية ،أصوله من مستغانم ،عُرف بمعارضته الشديدة للفرنسيين) ما جعل الشخصيتان تنفقان بالرجوع إلى الجزائر و تنظيم مقاومة⁽¹⁴⁾ ، و كان كثير الاتصال بالجزائريين و خاصة عند وصوله إلى طرابلس فكانت انتفاضة الزعاطشة ووصول أنباء بفشل مقاومة "أحمد باي" ، ما جعله يتحمس لتنظيم مقاومة جديدة بالجنوب الشرقي .

فعند دخوله الأراضي الجزائرية من وادي سوف عام 1850 استقر بزاوية الرويسات و بدأ في نشر أفكاره و رغبته في إصلاح الأوضاع فبدأ صوته يعلو فاستطاع أن يكسب قلوب الناس و يدفعهم للجهاد و خاصة بعدما أن دعا أنه مبعوث من الله لتحرير العباد من قيود الناس فبايعه الناس و انضمت تحت لوائه العديد من القبائل و الأعراس و لكن لم يستقر أمره على ورقلة و فقط بل أراد أن يقضي على إمارة بنو جلاب بتقرت ما جعله يحاصر أميرها عبد القادر ابن جلاب بعدما أن بايعه الأمير السابق سليمان⁽¹⁵⁾ ما جعله يهاجم الفرنسيين في جنوب بسكرة ، فواصل توسعه و كسب الأنصار بالصحراء الشرقية ، إلا أنه فشل في العديد من المواطن منها غرداية ،مليقة، بني يزقن، العطف، بنورة ، بريان ،و قورارة التي رفضت الانضمام إلى محمد الشريف فجابهته بالقتال فعهدوا معاهد مع الفرنسيين عن طريق الجنرال "بيليسي" بإعطاء الأمان شرط عدم مجابهة فرنسا مع الائتمان على سفرهم و تجارتهم⁽¹⁶⁾ .

كل هاته التوسعات بالمنطقة جعلت السلطات الفرنسية تشدد الرقابة عليه و جعلت من أكبر أعدائها فرغبت في القضاء على ثورته قبل أن تمتد إلى كامل الجنوب القسنطيني، فكان النصر حليف الشريف محمد بن عبد الله ما جعله حقا سلطان الجنوب الشرقي و أستقبل بحفاوة من طرف سكان الأغواط و تقديرا له باعتباره بطلا من أبطال الجزائر فاستطاع أن يهزم الفرنسيين في أول مرة يتصادف معهم (معركة الرق)، ما جعل شهرته تزداد و القبائل تخضع له ، فغنم في هذه المعركة 20 ألف رأس غنم و ألفي جمل.

ما جعل الفرنسيون يحشدون قوات إضافية من الجلفة بقيادة الجنرال يوسف عام 1852، و القوة الثانية قادمة من منطقة البيض بقيادة Pelecier ، الثالثة بقيادة "ماكماهون" Mac-Mahon الذي كُلف بحماية مراقبة منطقة الزيبان و الصحراء الشرقية، و مساندة القبائل المتحالفة مع فرنسا مما أضعف الشريف فاستباحوا الأغواط و جُرح محمد الشريف ما جعله يفر الى ورقلة⁽¹⁷⁾ ، و حسب احصائيات التي أوردها "فيرو" أن عدد القتلى في صفوف محمد الشريف حوالي 800 قتيل⁽¹⁸⁾ تعود أسباب انهزامه إلى تعاون بعض من قبائل "أولاد سيدي الشيخ" الشراقة "سي حمزة ولد سيدي الشيخ" و الذي أصبح خليفة على منطقة الجلفة إلى غاية الحدود المغربية.

عرف "محمد الشريف" بتردده الكثير على الجريد التونسي ، فتضايقت منه السلطات التونسية ما جعله يعود إلى الجزائر إلا أن عودته هذه المرة أفقدته مكانته بانهزامه أمام الفرنسيين و استولوا على ورقلة و تقرت في نوفمبر 1854 على الرغم من تحالفه مع "ابن ناصر بن شهرة" و "سليمان بن جلاب" ، فعاد لتنظيم المقاومة في أقصى الجنوب الجزائري بإقليم توات فكان الباشا غا "سي بوبكر" ولد حمزة ولد سيدي الشيخ بالمرصاد له فاعتقله و سلمه للسلطات الفرنسية .

فظهر مجددا في مقاومة "المقراني" فصال بين الشرق و الغرب و الجنوب طلبا للدعم و المدد و كسب الأنصار رغبة في الانتقام و تحرير البلاد، إلا أن كل محاولاته بائت بالفشل فاتجه إلى مدينة الكاف التونسية و قبض عليه الباي و سجنه عام 1876 بعد حادثة مقتل المملوك قائد وادي سوف و أخفى للصوص ممتلكاته في دار محمد الشريف بقرية العوينة جنوب تونس و بعد اكتشاف أمر الحادثة اعتقله كاهية المرازيق و أطلق سراحه و فرضت عليه الإقامة الجبرية و ظل مترددا بجنوب تونس بين بوفليجة و الجفارة حتى توفي عام 1896م و نقلت جثته إلى قرية دوز التونسية⁽¹⁹⁾.

6 - مقاومة ابن ناصر بن شهرة:

يعد "ابن ناصر بن شهرة" بن فرحات من رواد حركة المقاومة بالجنوب القسنطيني عامة و في الشرق الجزائري لمساندته للعديد من المقاومات المحلية منها مقاومة "محمد الشريف بن عبد الله" ، مقاومة "أولاد سيدي الشيخ" بالجنوب الغربي ، مقاومة "الرحمانيين" بالجنوب الشرقي بعد انهزامهم في منطقة القبائل و الشرق عامة انسحب زعمائها إلى الجنوب فانضم إليهم ابن شهرة ، فهذا ما جعله يدخل في صراع مع السلطة الفرنسية التي قامت بدورها بتضييق الخناق عليه و خلق أعداء له من بني جلدته و على رأسهم صهره سلطان مدينة الأغواط "أحمد بن سالم" الذي خضع للفرنسيين⁽²⁰⁾ ، ما جعل "ابن شهرة" يحمل لواء الجهاد .

فهو من مواليد عام 1804 م بالأرياع قرب ورقلة ، فعرفت أسرته أبا عن جد أنهما كانا قائدين بالمنطقة ما ولد صراع قديم بين "بن شهرة" قائد الأرياع و "أحمد بن سالم" فقام الأخير بقتل "بن شهرة"⁽²¹⁾ ، أما "ابن ناصر" قام بتطليق زوجته بنت سلطان الأغواط وفرّ إلى الجنوب و استطاع أن يكسب تحالفات مع سلاطين الجنوب الجزائري لرد الحملة الفرنسية القادمة من الجلفة و المدينة بعد اخضاع منطقة الزيبان و فشل انتفاضة "الزعاطشة" ، فانظم إليه سكان الأغواط و مختلف القبائل الصحراوية إلا أن قوة و عتاد الجيش الفرنسي و اعتمادهم على قياد المنطقة و على رأسهم الشريف محمد بالأحرش باشاغا أولاد نايل و الخليفة السابق للأمير عبد القادر الذي اتصل به ابن شهرة و لكن رفض الانضمام إلى صفه بل ساند الفرنسيين في احتلالهم للأغواط و نفس الأمر بالنسبة لسلطان ورقلة الذي تحالف أيضا مع الفرنسيين .

كسب "ابن شهرة محمد الشريف" بن عبد الله حليفا له في مقاومة الفرنسيين و آغا أولاد سيدي الشيخ الشراقة و آغا الأغواط السابق يحي بن معمر بن سالم ، على الرغم من كل المجهودات التي قام بها ابن شهرة لرد الحصار الفرنسي المفروض على الأغواط منذ ديسمبر 1852 و لاستمالة السكان فبعدها تمكن الجيش الفرنسي من دخول المدينة باستعمال المدفعية و دك أسوار المدينة فسقطت في أيدي الفرنسيين عام 1853م ما جعل ابن شهرة يلتجئ إلى الجريد التونسي ، فهذا لم تنسه المقاومة عن وطنه بل كان كثير التواصل مع الجزائريين المهاجرين إلى تونس ، فأزرت ثورة سيدي الشيخ عام 1864 فقام يوجب الصحراء لتجنيد السكان فوصل إلى المنيعه ، توات ، و عين صالح

واصل تحريض السكان على الانتفاض ، فأحيانا ينجح في استمالتهم لصفه و أحيانا يخفق ، فتعاون مع "الشريف بوشوشة" الذي كان يقود ثورا متليلي و شعانبة المواضي و السوافة و قد عينه بوشوشة آغا خليفته في تقرت ، ساند أيضا ثورة المقراني و الحداد في جبهته بالجنوب الشرقي و أنقذ العديد من أفراد

أسرتي المقراني و الحداد فاتخذوا قرية بني يزقن الميزابية مستودعا لهم و من ثمة إلى تونس⁽²²⁾. توفي عام 1884 بدمشق فعاش بجوار الأمير عبد القادر.

خاتمة :

في الأخير لا يمكن دور الكتابات الفرنسية في إبراز التاريخ المحلي للجزائر و خاصة فيم يتعلق بالمقاومات فكثيرا ما تنطرق إلى التفوق الفرنسي على الجزائري و أن المقاومين المحليين عبارة عن متمردين نظام الحكم ، فعلى الباحث توخي الحذر بمقارنة هاته الكتابات و التدقيق في معلوماتها و تقويمها و التحقيق ، فبحق أرخت الكتابات الفرنسية للمقاومات بالجنوب الشرقي الجزائري فمعظم الباحثين الجزائريين اللذين تطرقوا لدراسة هاته المقاومات و بالخصوص حركة "محمد الشريف بن عبد الله" ، و ابن "ناصر بن شهرة" و "الشريف بوشوشة".... اعتمدوا على هاته المصادر باعتبارها عايشة الأحداث و على رأسهم "فيرو" و الذي كتب بتفصيل ممل عن هاته الأحداث و يمكننا الرجوع إليها.

فتعد مقاومتي "محمد الشريف" و "ابن شهرة" مثلا يُقتدى بها في الجهاد فجابوا الصحراء من الجريد التونسي إلى جنوب عمالة وهران لمحاربة الفرنسيين ، فكثيرا ما هزموا الفرنسيين و في أماكن عديدة ما جعل السلطات الفرنسية تُدرك تمام الإدراك أنها حيثما حلت تجد مقاومة من السكان .

الإحالات و الهوامش :

- من بين الدراسات و الأعمال الفرنسية حول الصحراء نجد :

- Daumas (E), Le Sahara Algérienne étude géographique, statistique et historique sur la région au sud des établissements Français en Algérie .Alger.1845.
- Léon Roches, Trente-deux ans à travers de l'islam (1832-1864).T1.Paris.1884.
- Trumelet (c), l'Algérie légendaire en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux de l'islam (telle et Sahara).Alger.1892.
- Brosselard(H), Les deux missions au pays des Touareg Azdjer et Hoggar. Paris 1889.
- Soleillet (P), voyage de Paul de soleillet de Alger a l'oasis d'in – Salah –rapport présente a la chambre de commerce d'Alger.1875.
- Soleillet (P), l'Afrique occidentale Algérie, Mzab, Tidikelt.1877.
- 2 - Berbrugger. société historique algerienne.R.AF.V01.(1856).P.11.
- 3 - Berbrugger. But de la société historique Algérienne, R.AF.V.9. (1865).P.13.
- 4 - Seddiki(L), La revue Africaine de 1856 a 1961, Étude bibliométrique .mémoire présente pour obtenu du magistère en bibliothéconomie, Université Constantine.2008.P.40.
- 5 - Revue Africaine. Assemblée général du 15 JANVIER 1928.V69(1928).P.P17.18.
- 6 - Revue Africaine. Assemblée général .1856 . V1. P.13.
- 7 -Féraud (ch. – L), les interprètes de l'armée de l'Afrique .Edition Adolphe Jordan. Alger. 1876. P.P.8.9.

8- يحي بوعزيز ،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية :دار البصائر للنشر و التوزيع ،الجزائر . 2008.ص.79.

9- اعتمدنا في جرد المقالات التي تضمنت الصحراء الجزائرية :

-Berbrugger (A), catalogue de la revue africaine 1856 – 1881.

- Jean bevia, catalogue de la revue africaine 1882 – 1921.
 -Jeanne Alquier et Jean Nicot, catalogue de la revue africaine 1922 – 1950.
 - Fatiha chergui, catalogue de la revue africaine 1951 – 1961.
 -Seddiki(L), La revue Africaine de 1856 à 1961, Étude bibliométrique .mémoire présente pour obtenu du magistère en bibliothéconomie, Université Constantine.2008.
 - Ait Saïd(R), Répertoire général des articles de fond de la revue africaine 1856 – 1962 bibliothèque universitaire d'Alger.1992.
10- Laloe (F), A propos de l'incendie de la bibliothèque d'Alexandrie par les arabes .Les manuscrits arabes de constantine.Rev.Af.V.66.1925.P.103.

11 - نشر هذا المقال في الأعداد :

- V23(1879),V24(1880),V25(1881),V26(1882),V27(1883),V28(1884),V29(1885),V30(1886),
 V31(1887)
12- Seroka, le sud constantinois, de 1830 à 1855.rev.Af.v.56.1912.P.501-565.
13 - Féraud (ch.-l.), Les Ben- Djellab, sultans de Touggourt Notes historiques sur la province de Constantine.Rev.Af.V.25(1881).P.P.121.122.
14- Mangin (E.), Notes sur l'histoire de Laghouat.Rev.Af.V38.1894.275.
15- Féraud (ch.-l.), Les Ben- Djellab Op-Cit.P.126.127.
16 - Mangin (E.), Notes sur l'histoire de Laghouat.Rev.Af.V39.1894.07.
17- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 120. حول الموضوع أكثر ينظر:
 - Féraud (ch.-l.), Les Ben- Djellab, sultans de Touggourt Notes historiques sur la province de Constantine .Rev.Af.V.30. 1886. P.P.419-426.
18 - Mangin (E.), Notes sur.Rev.Af.V38....Op - Cit.P.318.
19- يحي بوعزيز، وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، مجلة الثقافة، العدد 33. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جويلية 1976. ص – ص 27.28. ينظر ايضا :
 - Trumelet, les français dans le désert .Paris.1865.P.426.
 -Walsin Esterhazy, notice historique sur maghzen d'oran.Paris.1849.
20- Mangin (E.), Notes sur l'histoire de Laghouat.Rev.Af.V38.1894.105.
21- Ibid.P.98.
22- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المرجع السابق، ص.154.155.